تقييم لمدى صلاحية لوحة مرنبتاح كشاهد أثري على صحة رواية الخروج

ضرغام غانم حلمي فارس[i] عائشة عبد العزيز التهامي[ii] وليد الهادي شيخ العرب[iii]

ملخص البحث

تعتبر لوحة مرنبتاح شاهداً أثرياً مهماً بالنسبة للدارسين والمهتمين برواية خروج بني اسرائيل من مصر سواءً من وجهة نظر دينية أو تاريخية وآثارية. والسبب في اختيار موضوع البحث هو شيوع الترجمة لكلمة يسرِءار في لوحة مرنبتاح على أنها اسرائيل حيث أردنا من خلال هذه الدراسة تقديم كلمة (اسرائيل) بلفظها الحرْفي الصحيح ووضعها سياقها التاريخي الصحيح، حيث يُفترض أن الأسماء لا تُترجم، والاسم الذي ورد في لوحة مرنبتاح هو (يسرِءار) وقد تُرجم على أنه (اسرائيل) فقط تماشياً مع التسمية التوراتية، وهو اسم يَصِف مجموعة بدوية تقيم في أرض كنعان (فلسطين) قد تكون النواة لما عرف لاحقاً في النصوص التوراتية باسم اسرائيل. لكن نظراً لعدم وجود أي دليل أثري يؤكد وجود بني اسرائيل في مصر او خروجهم منها أو تيههم في الصحراء، بالاضافة إلى تناقض المعطيات الأثرية مع الوصف التوراتي لسيطرة يشوع بن نون على أرض كنعان، فقد توصلت الدراسة غلى أن كلمة (يسرِءار أو اسرائيل) في لوحة مرنبتاح لا يمكن أن تعتبر دليلاً على صحة رواية الخروج والإستيلاء على أرض كنعان التي كانت تحت سيطرة مصر في ذلك الوقت المُفترض لسيطرة بني اسرائيل عليها، بل ان حُكم مصر لأرض كنعان بدأ منذ منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد واستمر حوالي 400 عام.

الكلمات الدالة: لوحة مرنبتاح، الخروج، أرض كنعان، اسرائيل، الروايات التوراتية.

مقدمة

تعتبر لوحة مرنبتاح أو"مر إن بتاح" (لالويت، 1991) "Mer-en-Ptah" -إبن الشمس (Petrie, 1897) – من أهم المكشفات الأثرية بالنسبة للمهتمين بالآثار المتعلقة بالروايات التوراتية، حيث يعتبرها البعض شاهداً مهماً على التاريخ المُبكر لإسرائيل(Shanks, 2012) ، بل إن البعض يسميها لوحة إسرائيل "Israel Stele" (Budge, 1920)، وذلك بسبب وجود كلمة (إسرائيل) منقوشة ضمن النَّص المنقوش عليها. وقد تضمنت لوحة مرنبتاح أول ظهور لاسم اسرائيل في النصوص القديمة المُكتشفة، فاسم اسرائيل لم يظهر في أي من النصوص المتعلقة بالهكسوس أو أي نقوش أخرى ولا حتى في أرشيف مراسلات تل العمارنة الذي يعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد والذي يتضمن نحو اربع مِئَة لوح مسماري تَصِف تفاصيل الحياة الاجتماعية والسياسية والسكانية في أرض كنعان، ولا يوجد أيضا أي شواهد أثرية تشير إلى وجود الاسرائيليين في مصر قبل تاريخ لوحة مرنبتاح(Finkelstein, 2001) . ورغم ذلك

[i] طالب دكتوراه بقسم الإرشاد السياحي، كلية السياحة، جامعة الفيوم.
[ii] أستاذ متفرغ بقسم الإرشاد السياحي، كلية السياحة، جامعة الفيوم
[iii] أستاذ مساعد بقسم الإرشاد السياحي، كلية السياحة، جامعة الفيوم

فقد استخدمت تلك اللوحة أحياناً كدليل على صحة الرواية التوراتية حول خروج بني اسرائيل من مصر (ميلر، 2008)، بالاضافة الى محاولات تأريخ ذلك الخروج من خلال لوحة مرنبتاح بإعتبار أن الخروج سبق زمنياً التاريخ الذي تعود له اللوحة، وأيضاً البناء عليها كشاهد على صحة بقية الروايات التوراتية.

وتهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة حرفية للكلمة الواردة في لوحة مرنبتاح والتي تُرجِمت على أنها (اسرائيل) والتمييز ما بين القراءة الحرفية وبين التخمين أو الترجمة لهذه الكلمة على أنها (اسرائيل). بالإضافة إلى تحديد مفهوم الكلمة من خلال وضعها في سياقها التاريخي الصحيح، ودراسة مدى صلاحيتها لأن تكون الأساس الذي يُبنى عليه لإثبات خروج بني اسرائيل من مصر وتأريخ ذلك الخروج.

أما المنهج لهذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التاريخي.

منهجية البحث: وتعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التاريخي.

التعريف بلوحة مرنبتاح ومضمونها

تُنسب هذه اللوحة إلى الملك مرنبتاح، وهو رابع ملوك الأسرة التاسعة عشر (فيركوتير، 1946) ضمن الدولة المصرية الحديثة التي تمتد خلال الفترة (1580–1200 ق.م.) (فيركوتير، 1946). ومرنبتاح هو إبن الملك رمسيس الثاني (Ramses II)، وقد تولى المُلك بعد وفاة والده (كتشن، 1982)، وحكم لمدة عشر سنوات "1212–1202 ق.م."(Stager, 2011) . أما لوحة مرنبتاح والتي يعود تاريخها إلى عام 1208 ق.م.(Dever, 2015) فقد اكتشفها فلندرز بيتري (Flinders Petrie) عام 1896م في معبد مرنبتاح في طيبة (Thebes)، وهي عبارة عن لوحة حجرية من الجرانيت أسود اللون(Petrie, 1897) ، ارتفاعها 312 سم وعرضها 162 سم وسُمكها 33 سم(Petrie, 1897) . وهذه اللوحة معروضة في المتحف المصري في القاهرة (ميلر، 2008) الى يومنا هذا. (انظر الصورة رقم 1)

الصورة 1: لوحة مرنبتاح، وهي معروضة في المتحف المصري في القاهرة

(Curtis, 2007)

تُخلِّد لوحة مرنبتاح انتصارات الملك مرنبتاح في ليبيا وبلاد الشام ولهذا تسمى أيضاً لوحة النصر " Victory Stela"(Killebrew, 2005) أو "قصيدة النصر" (عيد، 1996)، وبالإضافة الى وجود كلمة (إسرائيل) في اللوحة فقد ورد فيها أسماءً لأماكن في ليبيا وسوريا(Petrie, 1897) ، لكن ما يهمنا في هذه الدراسة هو كلمة (إسرائيل) التي لم تظهر نهائيا في المصادر المصرية قبل ظهور لوحة مرنبتاح (Redford, 2001)، وبحسب التوراة فإن أصل كلمة إسرائيل يرجع إلى الاسم الذي أطلقه الله على يعقوب ابن اسحق، حيث ورد في سفر التكوين النَّص التالي: "فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ»"(سفر التكوين: 32: 27،28)، لكن كلمة إسرائيل تجاوزت بعد ذلك أن تكون مجرد اسم ليعقوب فأصبحت اسم لشعب من سلالة يعقوب وذات

مدلول تاريخي وجغرافي وسياسي، بل وديني أيضا فهي المحور الأساسي الذي تدور حوله أحداث الروايات التوراتية، فالعهد القديم من الكتاب المقدس هو في جوهره قصة بني إسرائيل.

هل وردت كلمة إسرائيل فعلاً في النص؟ وما هي دلالات تلك الكلمة؟

في السطر السابع والعشرين، ما قبل الأخير، ضمن قائمة بالشعوب الكنعانية التي هزمها الملك مرنبتاح ، يذكر الشاهد *Ysyri3r* ، والذي يتم ترجمته عمومًا باسم "إسرائيل".

(…) *Ysyri3r fkt bn prt=f* (…)
(…) دُمرت إسرائيل، نسلها لم يعد(…).

هذا النص يحتوي علي أول ذكر مزعوم لإسرائيل (أو بالأحرى عن الإسرائيليين) خارج السياق التوراتي، وهو أيضًا الذكر الوحيد المعروف الخاص بشعب إسرائيل في النصوص المصرية. وقد كُتبت هذه الكلمة كالتالي (Gardiner, 1957) :

	(Gardiner M17)	ورقتان نبات. النطق الصوتي "ي= *y*"
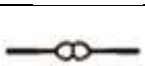	(Gardiner O34)	مزلاج. النطق الصوتي "س (ز) = *s* (*z*)".
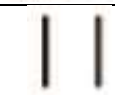	(Gardiner Z4)	شرطتان متوازيتان شكل أقل إستخداماً للشرطتين المائلتين. النطق الصوتي "ي= *y*"
	(Gardiner D21)	فم إنسان. النطق الصوتي "ر= *r*". يستخدم في الكتابة المقطعية للدلالة علي *r*
	(Gardiner M17)	ورقة نبات. النطق الصوتي "إ= *i*"
	(Gardiner G1)	طائر العقاب المصري. النطق الصوتي "*3*" حرف الألف
	(Gardiner Z1)	شرطة رأسية. عندما تأتي الشرطة الرأسية بعد العلامة التصويرية فإن ذلك يدل على الشيء الفعلي الذي تصوره هذه العلامة.
	(Gardiner T14)	عصا الرمي كسلاح أجنبي للحرب. أستخدمت كمخصص للدلالة علي البلاد أو الشعوب الأجنبية

	(Gardiner A1)	رجل وإمرأة جالسين فوق ثلاثة شرط رأسية: مخصص للدلالة علي الناس ومهنهم

الكتابة الهيروغليفية التي تشير إلى الذكر المزعوم لإسرائيل تحتوي علي عصا الرمي (المخصص الدال علي "الأجنبي") بالإضافة إلى رجل وامرأة جالسين (المخصص الدال علي "الناس")، بالإضافة ل ثلاثة شرط رأسية (العلامة الدالة علي التعدد والجمع).

طبقًا لتاريخ أوكسفورد للعالم التوراتي، أستخدم المصريون القدماء هذا المخصص للدلالة على المجموعات البدوية أو الشعوب البدوية، أو تلك الشعوب التي ليس لها إقامة أو دولة مدينة ثابتة. وبناءً عليه ضمنياً فإن المخصص المستخدم يؤكد الحالة البدوية لـ "إسرائيل" في ذلك الوقت (Redmount, 2001)

1- **الأسماء لا تترجم:** مما لا شك فيه أن الأسماء لا تترجم، فعندما نقرأ اسماً أجنبياً مكتوباً باللغة الأم لذلك الاسم، نلفظه حرفياً كما هو مكتوب وتعطينا القراءة الصحيحة اللفظ الصحيح لذلك الاسم. وعندما نقرأ اسماً مكتوباً بلغة غير اللغة الأم لذلك الاسم، فنلفظه أيضاً حرفياً كما هو مكتوب، مع العلم أن القراءة الحرفية في هذه الحالة قد لا تعطينا اللفظ الصحيح في حال عدم وجود حروف في اللغة الأجنبية تعطينا نفس النطق الموجود في اللغة الأم لذلك الاسم، فإذا كنا نعرف اللفظ الصحيح لذلك الاسم في اللغة الام نلفظه لفظاً صحيحا رغم غياب الحروف التي تعطينا اللفظ الصحيح، وإذا أردنا كتابة ذلك الاسم بلغتنا الخاصة فنكتب الحروف المناسبة التي تعطينا نفس اللفظ ما أمكن ذلك. وفي حال قراءة اسم كُتب بلغة اندثرت ثم أُعيد فك رموزها كما هو الحال في الهيروغليفية المصرية في لوحة مرنبتاح، نحاول معرفة اللفظ الصحيح لذلك الاسم من خلال القراءة الحرفية لحروف ذلك الاسم، وإذا اعتقدنا بسبب تشابه الحروف مع اسم اخر معروف مثل (اسرائيل) بأن المقصود هو اسرائيل، فالأمانة العلمية تقتضي الالتزام بما هو مكتوب في النص الأصلي مع الإشارة إلى الإعتقاد بأن المقصود هو ذلك الاسم المعروف، أي إسرائيل. لكن نجد أن اسم (اسرائيل) الوارد في لوحة مرنبتاح كُتب في قاموس الهيروغليفية المصرية (إسرآر) "Isràar" (Budge, 1920)، أما (بِتري) (Petrie) فقد كتبها بِسِرآل "Ysiraal"(Petrie, 1912) وليس اسرائيل. وإذا نظرنا إلى رموز الكلمة التي تُرجمت على أنها اسرائيل في لوحة مرنبتاح، وأردنا نقلها حرفياً نجد أنها بحسب اتجاه الحروف (مقار، 2007) تبدأ من اليمين إلى اليسار برسم ورقتين لنبات البوص وتعني حرف الياء المُخففة (Y)، أما الحرف الثاني والذي رُسم على شكل مزلاج الباب فهو حرف (S) ثم شكل الفم (الشفاه) وهو حرف (R) ثم ورقة واحدة لنبات البوص وهو الياء الثقيلة (i) ثم طائر العُقاب وهو الحرف (A) ويليه حرف ال (R) مرة أخرى (Gardiner, 1957). وبهذا تكون حروف الكلمة كالتالي: (Ysriar). وبمقارنة الرموز الهيروغليفية

بالحروف العربية (نور الدين، 1998) تكون الكلمة: (يسرِار) أو "ysry3r"(Killebrew, 2005) ، ونجد عند لفظها أن الكسرة تحت الهمزة تنتقل إلى حرف الراء ليصبح نطقها أسهل بسبب وجود حرف الألف بعد الهمزة، فتُلفظ (يسرِار).

2- **يسرِار مجموعة من البدو:** في الكتابة الهيروغليفية المصرية يرمز للمدينة بنقش شكل دائري يمثل أسوار المدينة وبداخله تقاطع يمثل شارعان متقاطعان (حماد، 1991)، أما كلمة يسرِار في لوحة مرنبتاح فقد تلاها عصا القذف (مقار، 2007)، (Boomerang) وهي ترمز إلى البلد الأجنبي (Roeder, 1912) ثم صورة رجل وامرأة جالسان، ويستخدمان في الهيروغليفية المصرية كملحق لتفسير أو توضيح دلالة الكلمة السابقة(Roeder, 1912) وألى الأسفل من الرجل والمرأة نقشت ثلاث خطوط متوازية وهي تعبير عن التعدد أو صيغة الجمع (حماد، 1991). أي رجل وامرأة وإلى الأسفل منهم صيغة الجمع، وهذا يعني ناس أو شعب (مقار، 2007)، وأنهم بدو رعويون (Killebrew, 2005) وليسو سكان مدن. (انظر الصورة رقم 2)

الصورة 2: صورة كلمة يسرِار في النقش وتفاصيل حروف الكلمة وملحقاتها

(Laughlin, 2000) ، (Shanks, 2012)

3- **الموقع الجغرافي ل (يسرِار):** ورد اسم يسرِار التي وصفت بأنها دمرت وليس لها بذور (Killebrew, 2005) في إطار الحديث عن إنتصار مرنبتاح في أرض كنعان على الشر الذي بها وإخضاع الأمراء والقبائل، حيث يدوّن النقش اخضاع مدينة عسقلان (Ashkelon) وجازر (Gezer) وينوم (Yenoam or Yanoam)، –علماً بأن موقع بلدة يانوم غير معروف على وجه التأكيد ولكنها إلى الشرق من مدينة صور اللبنانية(Breasted, 1906) – كما يذكر بأن (Khor) (فلسطين) أصبحت كأرملة لمصر وأن جميع الأراضي قد وجدت السلم(Petrie, 1897) . مما يعني أن الموقع الجغرافي ليسرِار هو في مكان ما في فلسطين(Geraty, 2015) .

أهمية لوحة مرنبتاح في رواية الخروج

تشير كلمة (إسرائيل) –(يسرِءار)– في لوحة مرنبتاح إلى مجموعة من الناس تقيم في أرض كنعان (Finkelstein, 2001)، ويعتقد البعض أن كلمة (يسرِءار) في لوحة مرنبتاح تعني (إسرائيل) وأنها الدليل الذي يؤكد صحة النصوص التوراتية حول خروج بني إسرائيل من مصر واستقرارهم في أرض كنعان (ميلر، 2008). ولكن هل فعلاً تعني هذه الكلمة صحة الرواية التوراتية ابتداءاً من الخروج وصولا إلى دخول يشوع بن نون نون إلى أرض كنعان واستيلاؤه عليها؟. وهل الخروج حدث تاريخي حقيقي؟ وإذا كان حقيقياً، فمتى وكيف حدث؟

الخروج في النصوص التوراتية

في نصوص التوراة بدأ التمهيد لرواية الخروج في سفر التكوين، وذلك من خلال إخبار الرب لأبرام (إبراهيم) بما سيكون من غربة واستعباد وذل لنسله، لمدة أربع مِئَة سنة، ثم يليها خروج من تلك الأرض، حيث قال له الرب "اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ. ثُمَّ الأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا، وَبَعْدَ ذلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلاَكٍ جَزِيلَةٍ... وَفِي الْجِيلِ الرَّابِعِ يَرْجِعُونَ إِلَى هههُنَا... " (سفر التكوين: 15: 13–16). وفي سفر التكوين أيضا تَرِد قصة يوسف الشهيرة بكل تفاصيلها ابتداءً من بيعه لقافلة الإسماعيليين المتجهة إلى مصر (سفر التكوين: 37) مرورا برحيل يعقوب وكل أبنائه ومن معه إلى مصر (سفر التكوين: 46) وإقامتهم في أرض جاسان (Goshen) (سفر التكوين: 47) وصولاً إلى وفاة يعقوب في مصر (سفر التكوين: 49) ثم تحنيطه ودفنه في مغارة حقل الْمَكْفِيلَة في أرض كنعان ثم وفاة يوسف وتحنيطه ووضعه في تابوت في مصر (سفر التكوين: 50).

بعد ذلك تتحدث التوراة عن المعجزات والبلاءات التي تعرض لها المصريين من الله، وذلك لإجبار فرعون على السماح لبني اسرائيل بمغادرة أرض مصر، وتمثلت تلك البلاءات بتحويل المياه إلى دم (سفر الخروج: 7) ثم بلاء الضفادع والقمل والذباب (سفر الخروج: 8) وبلاء موت المواشي، وبلاء الدمامل والبثور. وبلاء البَرَدْ والنار (سفر الخروج:9) وبلاء الْجَرَاد وبلاء الظلام الدامس (سفر الخروج: 10) وبلاء موت الأبناء البكر لكل المصرين بما فيهم بكر فرعون وأيضا موت أبكار المواشي (سفر الخروج: 12). ثم يعرض سفر الخروج وصفاً وتفاصيلاً ومحطات كثيرة لرحلة الخروج لا مجال لسردها هنا علما بأن الأصحاح الثالث والثلاثون من سفر العدد قدم ملخص لهذه الرحلة (سفر العدد: 33) ، بالإضافة إلى ملخص آخر في سفر التثنية (سفر التثنية: 1–3) ، لكن سنعرض في هذا البحث أهم مراحل الخروج كما وصفتها النصوص التوراتية وذلك من خلال اختيار بعض الإقتباسات القصيرة من أسفار الخروج والعدد والقضاة، وهي على النحو التالي: "فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ رَعَمْسِيسَ إِلَى سُكُّوتَ..." (سفر الخروج: 12: 37) ، "وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَنَزَلُوا فِي إِيثَامَ فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ"(سفر الخروج: 13 : 20)، "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْجِعُوا وَيَنْزِلُوا أَمَامَ فَمِ الْحِيرُوثِ بَيْنَ مَجْدَلَ وَالْبَحْرِ، أَمَامَ بَعْلَ صَفُونَ. مُقَابِلَهُ تَنْزِلُونَ عِنْدَ

الْبَحْرِ"(سفر الخروج: 14: 1)، "فَسَعَى الْمِصْرِيُّونَ وَرَاءَهُمْ وَأَدْرَكُوهُمْ. جَمِيعُ خَيْلِ مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ وَفُرْسَانِهِ وَجَيْشِهِ، وَهُمْ نَازِلُونَ عَنْدَ الْبَحْرِ عَنْدَ فَمِ الْحِيرُوثِ، أَمَامَ بَعْلَ صَفُونَ"(سفر الخروج: 14: 9)، "ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ إِيلِيمَ. وَأَتَى كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّيَّةِ سِينٍ، الَّتِي بَيْنَ إِيلِيمَ وَسِينَاءَ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الثَّانِي بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ"(سفر الخروج: 16: 1)، " ثُمَّ ارْتَحَلَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينٍ بِحَسَبِ مَرَاحِلِهِمْ عَلَى مُوجِبِ أَمْرِ الرَّبِّ، وَنَزَلُوا فِي رَفِيدِيمَ..."(سفر الخروج: 17: 1)، "ارْتَحَلُوا مِنْ رَفِيدِيمَ وَجَاءُوا إِلَى بَرِّيَّةِ سِينَاءَ فَنَزَلُوا فِي الْبَرِّيَّةِ..."(سفر الخروج: 19: 2)، "فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي رِحْلاَتِهِمْ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينَاءَ، فَحَلَّتِ السَّحَابَةُ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ"(سفر العدد: 10: 12)، "وَأَتَى بَنُو إِسْرَائِيلَ، الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا، إِلَى بَرِّيَّةِ صِينَ فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ. وَأَقَامَ الشَّعْبُ فِي قَادَشَ..."(سفر العدد: 20: 1)، " وَسَارَ فِي الْقَفْرِ وَدَارَ بِأَرْضِ أَدُومَ وَأَرْضِ مُوآبَ وَأَتَى مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى أَرْضِ مُوآبَ وَنَزَلَ فِي عَبْرِ أَرْنُونَ..."(سفر القضاة: 11: 18)، "فَامْتَلَكُوا كُلَّ تُخْمِ الأَمُورِيِّينَ مِنْ أَرْنُونَ إِلَى الْيَبُّوقِ وَمِنَ الْقَفْرِ إِلَى الأُرْدُنِّ"(سفر القضاة: 11: 22).

استمرت هذه الرحلة كما تصفها التوراة مدة 40 عاما(سفر التثنية: 29)، ثم مات موسى قبل دخول أرض كنعان(سفر التثنية: 34)، فتولى القيادة مكانة يَشُوعُ بْنُ نُون (Joshua the son of Nun) الذي عبر بقومه نهر الأردن(سفر يشوع: 3) وخاض معركة أريحا الشهيرة.

أهم نظريات تأريخ الخروج

نظراً لأهمية الرواية التوراتية المتعلقة بخروج بني اسرائيل من مصر، فقد بذل المؤمنون بالتوراة والمختصين في التاريخ والآثار جهوداً كبيرة في محاولات ربط الخروج بزمن محدد ليصبح حقيقة تاريخية، لكن التحدي الذي بقي قائماً أمامهم هو كيفية التوفيق ما بين النصوص التوراتية المتناقضة من جانب، وكيفية تدعيم نظريات تأريخ الخروج بأدلة أثرية من جانب آخر.

نعرض فيما يلي أهم نظريتين حول تأريخ الخروج:

نظرية تأريخ الخروج بحوالي العام 1450 قبل الميلاد

إحدى النظريات تقول بأن الخروج حدث عام 1450 ق.م.(Geraty, 2015) ويستند أصحاب هذه النظرية إلى ما جاء في سفر الملوك الأول بأن الملك سليمان بنى بيت الرب في السنة الرابعة من توليه المُلك وذلك بعد مرور 480 سنة على الخروج من مصر: "وَكَانَ فِي سَنَةِ الأَرْبَعِ مِئَةٍ وَالثَّمَانِينَ لِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِمُلْكِ سُلَيْمَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فِي شَهْرِ زِيُو وَهُوَ الشَّهْرُ الثَّانِي، أَنَّهُ بَنَى الْبَيْتَ لِلرَّبِّ"(سفر الملوك الأول: 6: 1)، ويتفق معظم العلماء والباحثين بأن السنة الرابعة لمُلك سليمان هي حوالي 970 ق.م.(Geraty, 2015) . بمعنى 970 + 480 = 1450.

كما يستند أصحاب هذه النظرية أيضا على ما جاء في سفر القضاة على لسان يَفْتَاح الْجِلْعَادِي (Jephthah the Gileadite) موجها كلامه إلى ملك بَنِي عَمُّونَ من خلال رسل: "وَالآنَ فَهَلْ أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ بَالاَقَ بْنِ صِفُّورَ مَلِكِ مُوآبَ؟ فَهَلْ خَاصَمَ إِسْرَائِيلَ أَوْ حَارَبَهُمْ مُحَارَبَةً حِينَ أَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي حَشْبُونَ وَقُرَاهَا، وَعَرُوعِيرَ وَقُرَاهَا وَكُلِّ الْمُدُنِ الَّتِي عَلَى جَانِبِ أَرْنُونَ ثَلاَثَ مِئَةِ سَنَةٍ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَسْتَرِدَّهَا فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ؟"(سفر القضاة: 11:(25 ، 26)، ويَفْتَاح الْجِلْعَادِي هو أحد الملقبين بقضاة بني إسرائيل وينسب إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، فإذا أضفنا 300 عام –وهي مدة مكوث بني إسرائيل في الأردن– إلى القرن الحادي عشر تصبح النتيجة 1400 ق.م. وهذا يتوافق تقريبا مع ربط الخروج بالعام 1450 ق.م (Geraty, 2015)، طبعا بعد إضافة الأربعين عاماً من التيه.

وبهذا يعتقد الباحث أنها نظرية تتعامل مع رواية خروج بني اسرائيل من مصر كحقيقة تاريخية وتستند فقط إلى النصوص التوراتية في محاولة تأريخ ذلك الخروج.

نظرية تأريخ الخروج خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد

هناك اعتقاد بأن رمسيس الثاني (Ramses II) الذي تولى المُلك عام 1289 ق.م. بعد وفاة والده الملك سيتي الأول "Seti I" (كتشن، 1982) هو الملك الذي حدث في عهده الخروج، أي أنه فرعون الخروج وأن الخروج حدث غالبا بعد حملته الفاشلة على قادش التي قادها في حوالي 1286 ق.م. (Abaroni, 1966).

ويعتقد فلندرز بيتري (Flinders Petrie) بأن وجود أسماء (يعقوب–إيل) (Jacob–el) و(يوسف–إيل) (Joseph–el) في قوائم الأسماء والأماكن في سوريا أثناء حملة تحتمس الثالث قبل نحو ثلاث قرون من الخروج يدفع إلى الإعتقاد بأن تلك الأسماء هي لقبائل اتَّحدت فيما بينها لتشكِّل إسرائيل، كما يعتقد (بيتري) بأنه إذا كانت هذه الأسماء قد قُرِءَت بشكل صحيح فربما تكون لقسم من بني اسرائيل كانوا قد عادوا من مصر إلى أرض أجدادهم فور انتهاء المجاعة –التي رحل بسببها يعقوب وأبناؤه الى مصر والتي وردت في سفر التكوين– وأن ما ورد في لوحة مرنبتاح عن اسرائيل التي خرِّبت ولم يتبقى لها بذور، يُقصد به تلك القبائل المتحدة التي شكلت اسرائيل والتي حاربها مرنبتاح غالباً قبل حدوث الخروج ببضع سنين، ويَخلُص (بيتري) بأن هذا يعني أنه من المُرجح أن بعض الإسرائيليين كانوا في فلسطين معظم أو كل الوقت الذي كان فيه الاخرين منهم في مصر(Petrie, 1912) . ويعتقد بأن الخروج حدث في عهد الملك مرنبتاح، أي أن مرنبتاح هو فرعون الخروج(Petrie, 1897) .

يعتقد الباحث أن هذه النظرية تقوم على محاولة التوفيق ما بين بعض الشواهد الأثرية وبين بعض النصوص التوراتية للتوصل إلى تأريخ الخروج، فالخروج يُفتَرض بحسب هذه النظرية أن يكون قبل العام 1208 ق.م. أي قبل لوحة مرنبتاح التي ذُكر بها الإسم الذي تُرجِم على أنه إسرائيل، وبنفس الوقت لا

يمكن أن يكون الخروج قبل بناء مدينتي (فيثوم ورعمسيس) (Pithom and Raamses). لأنه وفقاً لما جاء في أحد النصوص التوراتية فإن بني أسرائيل بنوا مدينتي فيثوم ورعمسيس(سفر الخروج: 1).

مدينة فيثوم (Pithom)، هي الموقع المعروف حاليا بإسم (تل المسخوطه) (Tell el Maskhuta)، وعرف قديما بإسم (بير اتوم) (Per Atum). أما مدينة (رعمسيس) فهي مدينة (باي– رمسيس) (Piramesse). وتنسب هذه المدينة لرمسيس الثاني (Ramesses II) وهي الموقع المعروف باسم (تل الضبعه) (Tell ed–Dab'a) بنيت في دلتا النيل خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وذلك في عهد رمسيس الثاني، لكن وبسبب جفاف احد فروع النيل هُجرت المدينة ثم نقلت حجارتها وأعيد استخدامها في بناء مدينتين أخرتين، وهما (تانس وبوبسطه) "Tanis and Bubastis"(Redford, 2001) .

عند مقارنة النصوص التوراتية بالمعطيات الأثرية في محاولة تأريخ الخروج، نجد أن هناك نصَّان متناقضان، أحدهما يعني أنه لا يمكن أن يكون الخروج قد حدث قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد أي قبل أن يصبح رمسيس الثاني ملكاً لمصر وهذا النص هو: ""فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ، فَبَنَوْا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْ مَخَازِنَ: فِيثُومَ، وَرَعَمْسِيس"(سفر الخروج: 1: 11). أما النَّص الثاني فيعني أن الخروج كان في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، حيث جاء التالي: "وَكَانَ فِي سَنَةِ الأَرْبَعِ مِئَةٍ وَالثَّمَانِينَ لِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِمُلْكِ سُلَيْمَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فِي شَهْرِ زِيُو وَهُوَ الشَّهْرُ الثَّانِي، أَنَّهُ بَنَى الْبَيْتَ لِلرَّبِّ"(سفر الملوك الأول: 6: 1)، فإذا قمنا بجمع الفترة ما بين الخروج وبناء بيت الرب وهي (480) مع السنة الرابعة (المُفترضة) لحُكم الملك سليمان (970 ق.م.) يصبح المجموع 1450 ق.م.

الخروج في علم الآثار

مما لا شك فيه أن رواية خروج بني اسرائيل من مصر تحظى بأهمية وشهرة إلى الآن، وهي من أهم الروايات التوراتية إن لم تَكن أهمها على الإطلاق، فالخروج هو ملحمة التحرر من العبودية والانتصار على جبروت وقوة فرعون مصر، وفيها المعجزات ووقوف الله الى جانب بني اسرائيل. أما بطل هذه الملحمة فهو شخص واحد وهو موسى، الذي استطاع ان يحدث تغييراً جذرياً في تاريخ أمة.

فما مدى صحة هذه الرواية وما هي حقيقة ذلك الحدث من الناحية التاريخية؟

يتوجب على الباحث الأثري أو المؤرخ، عند تناوله موضوع خروج بني إسرائيل من مصر، أن يتجرد من الأبعاد السياسية والدينية والاجتماعية، وأن يتعامل فقط مع اللقى والشواهد الأثرية بكل حيادية فيعرضها كما هي، ويقدم استنتاجاته بناءً عليها حتى وإن تناقضت مع المعتقدات الدينية أو خدمت طرفاً سياسيا على حساب آخر، أو مسَّت بلحمة وانسجام النسيج الاجتماعي لشعب ما.

وليس من السهل على باحث بأن يقول بأن الحدث الكبير المُتمثل بخروج بني اسرائيل من مصر بالوصف الذي تقدمة نصوص العهد القديم هو مجرد خرافة، خاصة وأن هذا الخروج يُعتبر من الأمور المُسلَّم

بصحتها لدى الكثير من الناس بل وجزء من عقيدتهم الدينية وثقافتهم العامة التي تهيمن عليها الروايات الدينية. وليس من السهل أو المقبول علمياً أيضاً أن يتخلى الباحث عن حياده وعن أمانته العلمية فيُهمل المعطيات والشواهد الأثرية ليقول بأن الخروج حقيقة تاريخية، متماشياً بذلك مع ميوله الديني ومتفادياً نقد المؤمنين بصحة رواية الخروج. ولهذا نقول بحيادية وأمانة بأن رواية خروج بني اسرائيل من مصر هي رواية مرفوضة من الناحية التاريخية والأثرية وذلك للأسباب التالية:

غياب الأدلة الأثرية على وجود بني إسرايل في مصر

تقدم النصوص التوراتية وصفاً دقيقا وتفاصيل كثيرة حول تواجد بني إسرائيل في مصر، ابتداءً من قصة يوسف(سفر التكوين: 37 – 50) مروراً بتزايد أعدادهم واستعبادهم(سفر الخروج: 1) وصولاً إلى خروجهم وقد أصبح لديهم ست مئة ألف رجل وقت الخروج(سفر الخروج: 12). لكن في مقابل هذا الوصف التوراتي لم يَذكر المصريين القدماء في نقوشهم شيئاً عن وجود بني أسرائيل في مصر ولم يُعثر على أي شواهد أثرية تؤكد صحة الرواية والوصف التوراتي بخصوص تواجد بني اسرائيل في مصر (Finkelstein, 2001)، علما بأن المصريين لم يغفلوا عن وصف أمور أقل أهمية، بل وصفوا وجود غرباء بأعداد قليلة في بلادهم. حيث بات معروفا أنه كان لبعض العناصر السامية الغربية حركة وتواجداً في مصر منذ نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد (الشامي، 2007)، وأن توافدهم الى مصر ازداد أثناء الدولة الوسطى، وبعد أن استقروا شرق الدلتا بدأوا يتغلغلون ليعملوا في خدمة البيوت المصرية، وفي عصر الدولة الحديثة سُخِّروا للعمل في الزراعة والبناء حيث كان معظمهم من الكنعانيين والعموريين والحوريون من أسرى الحروب، فيما كان من بينهم من هم أحرار وعملوا في مختلف النشاطات وفي وظائف الدولة (كتشن، 1982). كما تصوِّر رسوم مقابر بني حسان الشهيرة في مصر الوسطى والتي تعود للقرن التاسع عشر قبل الميلاد مجموعة من شرق الاردن حضروا إلى مصر ومعهم حيوانات وبضائع وهم في الغالب تجاراً وليسوا عمال (Finkelstein, 2001)، حيث نلاحظ الملامح التي اعتاد المصريين رسمها للآسيويين، ونلاحظ أيضا أن الرجال ليسوا مُقيَّدين وأن بعضهم يحملون أسلحة مما يعني أنهم ليسوا أسرى. (انظر الصورة رقم 3)

صورة 3: إحدى رسوم مقابر بني حسان تصور تواجد آسيوي سلمي في مصر، وتعود للقرن التاسع عشر قبل الميلاد

(Hoffmeier, 2012)

لابد من الإشارة هنا إلى ما ذكره الدكتور رشاد الشامي حول وجود دليل غير مباشر على وجود بني اسرائيل في مصر، ويتمثل بوجود مجموعة من الغرباء في مصر عرفت باسم (العابيرو) ذُكرت في وثائق تعود إلى الفترة ما بين منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ويؤكد الشامي بأن العابيرو في اللغة المصرية هم أنفسهم ال (خابيرو) في الوثائق الأكادية منذ نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد وحتى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد، وأن كلا الإصطلاحين (عابيرو) و (خابيرو) لهما علاقة بالاسم (عبري)، لكن يبيّن الشامي بأن هذا الربط باللغة والمضمون لا يحظى بإجماع الباحثين وأن الحديث هنا عن مصطلع له مغزى اجتماعي وليس عن شعب أو مجموعة عرقية قومية (الشامي، 2007).

يعتقد الباحث بأن وجود مجموعات في مصر أطلق عليها إسم (العابيرو) يعني تواصلاً ما بين أرجاء الشرق الأدنى القديم ويُفسَّر التَّأثُّر بالثقافة المصرية والإقتباس منها أثناء صياغة بعص النصوص التوراتية، واسم (عابيرو) لا يُعتبر دليلاً مباشراً أو غير مباشر على صحة وجود بني إسرائيل في مصر بالوصف الذي قدمته التوراة وبالأعداد الضخمة التي تعرضها في وصف حجم تواجد بني اسرائيل في مصر وضخامة جموعهم عند الخروج، وذلك للأسباب التالية:

أ- غياب الرابط العرقي: كما نلاحظ فإن الشامي بيَّن أن مصطلح (العابيرو) له مغزى إجتماعي ولا يُعبر عن شعب أو رابط عرقي قومي، بينما حرص من كتبوا التوراة على أن يكون بني اسرائيل هم سلالة الأبناء الاثني عشر ليعقوب الذين أصبحوا أمَّة في مصر ثم خرجوا منها بأمر ومساعدة الله(سفر التكوين: 46) فبني اسرائيل تعني سلالة يعقوب الذي أصبح اسمه إسرائيل بأمر من الله(سفر التكوين: 32، 35).

ب-تواجد مجموعات (العابيرو) في مصر بعد الخروج: كما يبيَّن الشامي فإن الوثائق التي تشير إلى وجود (العابيرو) تعود إلى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد وتستمر لغاية منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وهذا يعني استمرار تواجد (العابيرو) لمدة حوالي ثلاث قرون بعد التاريخ المُفترض للخروج بحسب النظرية الآولى (1450 ق.م.)(Geraty, 2015) ، وحوالي قرن بعد التاريخ المُفترض للخروج بحسب النظرية الثانية (خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد) (Abaroni, 1966).

ج- (العابيرو) هم مجموعات بدوية انتشرت في الشرق الأدنى القديم: تواجدت في أرض كنعان مجموعات بدوية في الوقت الذي يُفترض فيه (بحسب التوراة) أن بني إسرائيل كانوا في مصر وليس في أرض كنعان. وهذه المجموعات هي: العَبيرو (Apiru)، وهم أنفسهم يطلق عليهم أحيانا اسم "Habiru" أو "Khapiru" (Abaroni, 1966)، وقد ذكروا في مراسلات تل العمارنة باسم (Apiru)(Wright, 1965) . ومن الواضح أنهم لم يكونوا متجانسين عرقيا، فقد ظهروا في عدة مصادر تعود للألفية الثانية قبل الميلاد في بلاد ما بين النهرين وأرض كنعان وسوريا ومصر،

وكان يشار اليهم دائما على أنهم غرباء ليس لهم الحق بالارض والممتلكات، وفي حالات نادرة يشار اليهم كجزء من سكان البلدات، لكن في الغالب هم بدو شبه رُحَّل يقيمون على أطراف البلدات (Abaroni, 1966).

غياب رواية الخروج في المصادر المصرية

النظرية الأكثر شيوعاً والتي تتبناها اسرائيل رسمياً حول تأريخ الخروج هي النظرية التي تقول بأن الخروج حدث في القرن الثالث عشر قبل الميلاد (Israel Ministry of Foreign Affairs, 2010) ، علماً بأن مصر كانت في أوج قوتها خلال ذلك القرن (Finkelstein, 2001). ونظراً لعدم وجود أدلة أثرية تدعم صحة رواية الخروج كما وردت في التوراة (الشامي، 2007)، فقد ظهرت بعض التفسيرات التي تجعل من الخروج حقيقة تاريخية بل وتبرر غياب الأدلة الأثرية. وفي هذا الإطار يعتقد كتشن (K.A. KITCHEN) أن غياب أي ذكر للخروج أو البلاءات العشر في نقوش رمسيس الثاني هو بسبب التعالي والغرور والرغبة بنسيان ذكريات أليمة (كتشن، 1982). ويقول هوفماير (James K. Hoffmeier) بأن النصوص المصرية الملكية التي نُقشت على اللوحات وفي المعابد لم تتضمن نهائيا أي إشارة سلبية بحق ملك مصر أو بحق جيشه، وإنما تتناول انتصارات الملك وشجاعته، بل وتعمد تلك النصوص إلى تحريف الأحداث التي تُمثل إخفاقاً أو هزيمة مثل الكارثة التي كادت تحل بجيش رمسيس الثاني في معركة قادش والتي عُرفت من خلال مصادر ليست مصرية، ثم يَخلص هوفماير إلى القول بأنه لن يَجد أحد يوماً لوحة تخلِّد ذُل فرعون مصر بسبب البلاءات أو بسبب هزيمة جيشه عندما لحق بالعبرانيين محاولاً إرجاعهم إلى مصر (Hoffmeier, 2012).

يعتقد الباحث أن (كتشن) و (هوفماير) قد انساقوا وراء ميولهم لإثبات صحة النصوص التوراتية المتعلقة بخروج بني اسرائيل من مصر، فعمدوا إلى التشكيك بمصداقية المصادر المصرية، وتجاهلوا قدرة علم الآثار على قراءة ما كُتِب في النصوص المصرية القديمة واستقراء ما لم يُكتب من خلال دراسة اللقى والشواهد الأثرية سواءً تعلق الأمر بإنتصارات ملوك مصر أو هزائمهم أو مقتلهم أو معارضتهم او الثورات ضدهم وسواءً تعلق الأمر بحياة الرغَد أو بحياة الفقر والبؤس. وإلا فكيف عرفنا مثلاً أن الهكسوس هَزموا المصريين واحتلوا مصر! (فيركوتير، 1946)، وأن الملك (سقنن رع) مات مقتولا في احدى معاركه ضد الهكسوس! (طبوزادة، 2008). وكيف استطعنا معرفة الكثير من تفاصيل فترة حكم حتشبسوت التي امتدت ثمانية عشر عاماً رغم أن تحتمس الثالث لم يَكتفِ بتجاهل فترة حكمها واعتبار بداية فترة حكمة منذ عام 1490ق.م. أي فور وفاة والد، وإنما عمد أيضا إلى تحطيم تماثيلها وإزالة اسمها من كل أثر! (فخري، 2012)، وكيف عرفنا أن الملك اخناتون خسر معظم مستعمراته في آسيا القريبة وأن مصر أصبحت مُهددة في عهده وأنه كان مُتَّهماً بالزندقة ومهدداً بالقتل من طرف الناس في طيبة! (أبو بكر، 1961).

من خلال ما سبق نجد أن علم الآثار قد توصل الى الكثير من الحقائق والتفاصيل المتعلقة بتاريخ مصر، فكيف يعجز هذا العلم عن رصد حدث عظيم مهم يتمثل بخروج ست مئة ألف رجل من مصر عدا النساء والاطفال!: "فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ رَعَمْسِيسَ إِلَى سُكُّوتَ، نَحْوَ سِتِّ مِئَةِ أَلْفِ مَاشٍ مِنَ الرِّجَالِ عَدَا الأَوْلاَدِ"(سفر الخروج: 12: 37).

إثبات علم الآثار لزيف أحداث لاحقة مرتبطة بالخروج

تقدم النصوص التوراتية وصفاً لأحداث متصلة برواية الخروج تتعلق بمسار الخروج والتيه في سيناء، ثم تحقيق أهداف الخروج المتمثلة بدخول أرض كنعان التي وعد الله بها بني اسرائيل وصولاً إلى قيام مملكة موحدة أشبه بإمبراطوية مترامية الأطراف. لكن وبالإضافة لعدم وجود أدلة أثرية تثبت وجود بني إسرائيل في مصر وعدم وجود ما يؤكد رواية الخروج في المصادر الأثرية المصرية، فإن علم الآثار فنَّد الأحداث اللاحقة المرتبطة برواية الخروج على النحو التالي:

مسار الخروج والتيه في سيناء

الأكثر شيوعاً هو أن الخروج كان خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لكن قبل الحديث عن المسار المُفترض الذي سلكه بني اسرائيل للخروج من مصر، لا بد من التنويه إلى أن المصريين بعد طردهم للهكسوس من مصر، قاموا بضبط ومراقبة الحدود والطريق المؤدية ما بين مصر وأرض كنعان بإحكام شديد وذلك من خلال إنشاء نظام مراقبة مكوَّن حصون وحاميات تمتد من الدلتا إلى أرض كنعان شرقا، ومن خلال بردية تعود الى نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد يتضح مدى إحكام السيطرة على الحدود، وفي ظل ذلك النظام المُحكَم في ضبط الحدود لم يكن ممكناً مرور جموع بني اسرائيل دون أن يوثَّق –على الأقل– في سجلات تلك الحاميات (Finkelstein, 2001).

ورغم ما بيَّناه من استحالة خروج جموع بني اسرائيل من مصر دون ضبطهم أو على الأقل توثيق خروجهم من طرف الحاميات المصرية، إلى أن هناك محاولات لربط المواقع التي ذُكرت في سفر الخروج بجغرافية المناطق الممتدة من الدلتا مروراً بسيناء وصولاً إلى أرض كنعان، وقد أسفرت تلك المحاولات عن أربع نظريات للمسار الذي سلكه بني اسرائيل عند خروجهم من مصر عبر شبه جزيرة سيناء، ثلاثة منها تفترض ثلاث طرق رئيسية: طريقاً شمالياً وطريقاً وسطاً وطريقاً جنوبياً(Schulze, 2012) .

أما النظرية الرابعة لمسار خروج بني اسرائيل من مصر، فهي تفترض أن يبدأ المسار مشابها للنظرية الاولى –الطريق الشمالي– ثم يعود الى مصر ليتخذ طريقاً مشابهاً للنظرية الثالثة –جنوب سيناء– وصولاً إلى قادش برنيع ثم إلى شرق الأردن(Wasef, 2012) .

أما بخصوص التيه في سيناء فإن الرواية التوراتية تتحدث عن خروج ست مئة رجل من بني اسرائيل من مصر عدا الأولاد(سفر الخروج: 12) –وإذا أضفنا النساء والأطفال قد يزيد العدد عن مليونين نسمة– وأنهم

هاموا اربعين سنه في الصحراء(سفر يشوع: 5)، لكن ورغم كثرة الجهود الأثرية المبذولة في البحث عن شواهد أثرية تؤكد هذا التيه الذي عاشته تلك الجموع الضخمة لبني اسرائيل لمدة اربعين عاماً إلا أنه لم يَتم العثور على أي موقع تخييم أو استيطان لتلك الجموع في شبه جزيرة سيناء أو حتى في قادش برنيع أو في شرق الأردن (Finkelstein, 2001).

الاستيلاء على أرض كنعان

تصف الرواية التوراتية في سفر يوشع ملحمة كبيرة، كان بطلها يشوع بن نون، انتهت بسيطرة بني اسرائيل على الأراضي التي وعدهم الله بها، لكن من خلال علم الآثار نجد في أرض كنعان واقعاً مختلفاً تماماً عن الوصف الذي قدمه سفر يوشع، وأهم محاور الإحتلاف ما يلي:

أ- معركة أريحا: أريحا (Jericho) أو مدينة النَّخْل(سفر التثنية: 34: 3. القضاة: 1: 16. و: 3: 13. أخبار الأيام الثاني: 28: 15)، وهي الموقع الأثري المعروف باسم تل السلطان (Tell es-Sultan). ويقع التل على بعد حوالي 10 كلم شمال البحر الميت، ويرتفع عن محيطه حوالي 20 متر، بينما ينخفض حوالي 229 متر عن مستوى سطح البحر. ويجسد الموقع أقدم مدينة محصنة في تاريخ الشرق الأدنى القديم، حيث تعود أقدم الشواهد الأثرية فيها إلى الفترة ما بين الأف العاشرة والألف الثامنة قبل الميلاد(Negev, 1990) . وبحسب ما جاء في سفر يشوع، فإن أريحا هي اولى المدن الكنعانية التي دخلها يشوع بن نون (Joshua the son of Nun)، ويسرد هذا السفر تفاصيل كثيرة حول معركة أريحا، ابتداءً من إرسال الجواسيس إلى أريحا ، مروراً برواية عبور نهر الأردن ، وصولا إلى تدمير أريحا(سفر يشوع: 2، 3، 6). وقد وُصفت تفاصيل المعركة في سفر يشوع، وهي بايجاز كالتالي: قام جيش بني إسرائيل ومعهم الكهنة يحملون تابوت العهد وسبعة كهنَة ينفخون في الأبواق بالدوران حول أسوار أريحا مرة واحدة كل يوم لمدة ستة أيام، وفي اليوم السابع داروا سبع مرات وهتف الشعب هتافاً عظيماً، فانهارت أسوار المدينة، ودخلوها واستباحوا كل دم إلا دم الزانية رَاحَاب وأهلها، كما أحرقوا المدينة بكل ما فيها، أما الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد فجعلت في خِزانة الرب، وأنذر يشوع قومه بأن من يعيد بناء المدينة يكون ملعوناً أمام الرب(سفر يشوع: 6).

أُجريت في تل السلطان عدة أعمال تنقيب أثري، كانت بدايتها عام 1868م، وتمثلت بأعمال تنقيب محدودة (مَجَسَّات) تحت إشراف تشارلز وارين (Charles Warren) لحساب صندوق إستكشاف فلسطين. ثم تنقيبات البعثة الألمانية النمساوية خلال السنوات 1907 – 1909م بإشراف ايرنست سيلين (Ernst Sellin) وكارل واتزنغر (Carl Watzinger). وخلال السنوات 1930 – 1936م تم إجراء أعمال تنقيب في الموقع تحت إشراف جون غارستانغ "John Garstang" (Stern, 1993)، وبحلول عام 1952م كان علم الآثار قد عرف تطوراً في تقنيات التنقيب بالإضافة إلى الكثير من التفاصيل حول تأريخ فخَّار النصف الثاني من الألفية الثانية قبل الميلاد، وهذا التطور لم يكن متوفراً لدى غارستانغ عندما نقَّب في

أريحا مما أدى الى خطئه في تأريخ بعض الطبقات الأثرية(Kenyon, 1981) ، بينما استفادت عالمة الآثار البريطانية الشهيرة كاثلين كينيون (Kathleen Kenyon) مما توصل إليه علم الآثار عندما قامت بإجراء أعمال تنقيب تل السلطان (أريحا) خلال السنوات (1952 – 1958م)(Stern, 1993) ، وأثبتت من خلال التنقيب، بأنه في نهاية العصر البرونزي الوسيط تعرضت أريحا للتدمير والحرق، وعلى إثر ذلك أصبحت أريحا مدينة مهجورة، وذلك منذ منتصف القرن 16 ق.م. واستمرت كمدينة مهجورة معظم القرن 15 ق.م. حيث لم يتم إعادة بناء الأسوار والتحصينات المدمرة التي تعود إلى العصر البرونزي الوسيط. أما خلال العصر البرونزي المتأخر (1550 – 1200 ق.م.)، فقد وجدت كينيون بقايا أثرية تعود للعصر البرونزي المتأخر ولكنها ضئيلة وغير مترابطة ما يشير إلى إقامة عدد قليل من السكان في الموقع وتحديداً خلال النصف الثاني من العصر البرونزي المتأخر(Kenyon, 1981) . وبناءاً على نتائج أعمال التنقيب التي أجرتها كينيون في أريحا، فأن أريحا دُمَّرت بحريق في نهاية العصر البرونزي الوسيط، وفي الغالب أن هذا التدمير حدث بعد أن طرد المصريون الهكسوس من مصر عام 1560 ق.م.(Stern, 1993) .

يتضح من خلال ما سبق أن الرواية التوراتية بخصوص يشوع بن نون ومعركة أريحا، رواية تتناقض مع المعطيات الأثرية، فالتوراة ربطت حدوث معركة أريحا بأربعين عاما بعد الخروج من مصر: "وَأَكَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمَنَّ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى جَاءُوا إِلَى أَرْضٍ عَامِرَةٍ. أَكَلُوا الْمَنَّ حَتَّى جَاءُوا إِلَى طَرَفِ أَرْضِ كَنْعَانَ"(سفر الخروج: 16: 35) ، وسواء قمنا بربط الخروج ب 480 سنة قبل هيكل سليمان، بحسب الرواية التوراتية، أو ربطناه بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد، فإنه في الحالتين لم يكن في أريحا أسواراً ليتم تدميرها، ولم تكن أريحا طوال العصر البرونزي المتأخر مدينة محاطة بالأسوار. وهكذا نجد أن رواية معركة أريحا كما جاءت في التوراة، هي رواية مرفوضة لأن الحقائق الأثرية أثبتت بطلانها.

ب–عاي (Ai): بالإضافة إلى أريحا، نجد أن عاي (Ai) –والتي هي ثاني المدن التي سيطر عليها يشوع بن نون(سفر يشوع: 8) – قد أثبتت التنقيبات الأثرية بأن المدينة قد دمرت قبل نهاية العصر البرونزي المبكر وبقيت مهجودة إلى بداية العصر الحديدي(Negev, 1990) ، فخلال الفترة الممتدة منذ حوالي 2400 ق.م. لغاية حوالي 1220 ق.م. كانت (عاي) مدمرة وغير مأهولة بالسكان، وفي بداية العصر الحديدي استوطن مجموعة من الناس مساطب منخفضة عن مستوى المدينة المُدمرة وأنشأوا قرية هناك وأطلقوا عليها اسم (عاي) وهو الاسم المعروف حاليا أما الاسم الأصلي للمدينة فقد ضاع وأصبح مجهولاً(Stern, 1993) . وبهذا فإن مدينة عاي لم تكن مأهولة في الوقت المُفترض لسيطرة يشوع على أرض كنعان وفي بداية العصر الحديدي لم يكن هناك سوى قرية.

ج– حاصور(Hazor): تُعتبر حاصور احدى المدن الكنعانية الكبيرة الواقعة شمال فلسطين، وهي الموقع الأثري المعروف باسم تل القدح Tell el–Kedah" (Negev, 1990). وبحسب سفر يشوع فقد كانت حاصور رأس الممالك التي حاربها يشوع بن نون، وقد استولى عليها وقتل ملكها(سفر يشوع: 11). أما

في علم الآثار فقد تعرضت حاصور للتدمير خلال الثلث الثاني من القرن الثالث عشر قبل الميلاد (Stern, 1993). وإذا قارنَّا هذا التاريخ مع نظرية تأريخ الخروج بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد، نجد أن تاريخ تدمير حاصور يتوافق مع تلك النظرية.

تَركَّز تدمير حاصور في المنطقة العليا المحصنة من المدينة وهي منطقة النخبة الحاكمه، فمن الواضح أن التدمير استهدف السلطة الدينية والمدنية والأثرياء، حيث طال التدمير والحرق المباني العامة والقصر الملكي والمعبد وتم تحطيم تماثيل للملوك والآلهة. ويُفسَّر هذا الدمار الذي لحق بالمدينة بأحد احتمالين: الأول أن يكون قد تم تدمير المدينة والإستيلاء عليها من طرف قوة عسكرية خارجية، والثاني حدوث ثورة داخلية بسبب الأعباء الاقتصادية التي حمَّلتها لهم النخبة الحاكمة. لكن نظراً لأن نتائج التنقيب لم تُظهر أي دلائل على وجود إعتداء خارجي وحرب مع أجانب في المدينة مثل الأسلحة والقتلى، وأن المدينة هُجرت بعد ذلك لغاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد، فإن هذا يُرجح حدوث تدهور اقتصادي وثورة داخلية وينفي تدمير المدينة على يد الاسرائيليين أو المصريين أو غيرهم(Zuckerman, 2007) .

وتعقيباً على ما بيَّناه بخصوص أهم المُدن –أريحا، عاي، حاصور– التي استولى عليها بنو اسرائيل بقيادة يشوع بن نون، فإننا نَخلص إلى مايلي:

- الفرق الزمني ما بين تدمير عاي وتدمير حاصور حوالي ألف ومئة عام، وما بين أريحا وعاي نحو ثلاث مئة عام، فكيف يمكن أن يكون شخص واحد هو المسؤول عن تدمير تلك المُدن!!!
- تصف كلمة (يسرِءار) مجموعة من البدو، لكن ما وصفته التوراة هو جيش كبير يقوده يشوع بن نون، انتصر وسيطر ليس فقط على أرض كنعان بكامل مدنها وممالكها، بل وصل أيضاً إلى نهر الفرات(سفر يشوع: 1، 21)، وهذا الوصف التوراتي هو لمملكة كبيرة وليس لمجموعة من البدو كما جاء في لوحة مرنبتاح.
- بعد تأسيس الأسرة الثامنة عشرة في مصر، وذلك في منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد، سيطرت مصر على أرض كنعان، واستمرت هذه السيطرة حوالي 400 سنة(Abaroni, 1966) ، ويتضح من خلال أرشيف تل العمارنة كيف كانت أرض كنعان إقليماً تابعا لمصر(Wright, 1965) ، كما أن التنقيبات الأثرية أثبتت استمرار السيطرة المصرية على بعض مدن أرض كنعان لغاية منتصف ونهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، بمعنى أكثر من قرن بعد الوقت المُفترض لاستيلاء بني اسرائيل على أرض كنعان. فمثلاً عُثر في مدينة بيسان (Beth–shean) –جنوب بحيرة طبرية– على تماثيل مصرية ونقوش هيروغليفية تعود لفترة حُكم ملوك مصر سيتي الأول ورمسيس الثاني ورمسيس الثالث (Finkelstein, 2001)، وفي مجدو –إلى الغرب من بيسان– عُثر على خرطوشين باسم رمسيس الثالث ورمسيس السادس(Stern, 1993) . والخرطوش (cartouche) هو إطار مستطيل له نهايتان تشكل كل منها نصف دائرة وإحدى النهايتين تتعامد مع خط يجعل فيعطي شكلاً للإطار يشبه خرطوشة

البندقية، ويُكتب في داخل الإطار الاسم الملكي. وأصل الكلمة في اللغة المصرية القديمة (شنى) وتعني يحوِّط أو يطوِّق، و (شنو) بمعنى دائرة أو محيط، و (شنوت أو شنيت) تعني رجال الحاشية (مقار، 2007)، ورغم هذا لم يَرِد في النصوص التوراتية حدوث أي مواجهة ما بين يشوع بن نون والمصريين (Finkelstein, 2001). فكيف يهرب بني إسرائيل من مصر ليستولوا على أرض تسيطر عليها مصر!

النتائج

يعتق الباحث أنه من خلال ما سبق حول لوحة مرنبتاح ورواية الخروج فإن لوحة مرنبتاح ليست دليلاً على صحة رواية خروج بني اسرائيل من مصر ودخولهم لأرض كنعان وذلك للأسباب التالية:

أولاً: تصف لوحة مرنبتاح اسم مجموعة من البدو في أرض كنعان، وقد تُرجم هذا الإسم أنه (اسرائيل) تماشياً مع الوصف التوراتي أما الكتابة الحرفية للإسم هي (يسرِءار)، ونظراً لأن الأسماء لا تترجم، يعتقد الباحث أن الأصح هو أن نقول بموضوعية بأن (يسرِءار) هو اسم يَصِف مجموعة بدوية قد تكون النواة لما عرف لاحقاً في النصوص التوراتية باسم اسرائيل.

ثانياً: لا يمكن اعتبار لوحة مرنبتاح شاهداً أثرياً على صحة الروايات التوراتية المتعلقة بخروج بني اسرائيل من مصر ثم سيطرتهم على أرض كنعان، وذلك لأن لوحة مرنبتاح تتحدث عن مجموعات بدوية وليس جيش ضخم سيطر على مساحات شاسعة.

ثالثاً: لا يوجد أي دليل أثري يؤكد وجود بني اسرائيل في مصر او خروجهم منها أو تيههم في الصحراء، بالاضافة إلى تناقض المعطيات الأثرية مع الوصف التوراتي لسيطرة يشوع بن نون على أرض كنعان، بل إن أرض كنعان كانت تحت سيطرة مصر في الوقت المُفترض لسيطرة بني اسرائيل عليها.

رابعاً: زيف الملحمة التي تصفها التوراة حول الاستيلاء على أرض كنعان، حيث أثبتت نتائج التنقيب في أهم المدن التي يُفترض أن يشوع قد استولى عليها، بأنها دمرت في فترات متباعدة ولأسباب مختلفة.

خامساً: من خلال ما سبق يعتقد الباحث بأننا نستطيع القول بواقعية ودون تأويل أن لوحة مرنبتاح والتي يعود تاريخها الى العام 1208 ق.م. ورد بها كلمة (يسرِءار) ويُقصد بها مجموعة من البدو تواجدت في أرض كنعان.

سادساً: شيوع الترجمة لكلمة يسرِءار على أنها اسرائيل هو السبب في اختيار موضوع هذه الدراسة وذلك بهدف وضع الكلمة في لفظها اللغوي الصحيح وسياقها التاريخي الصحيح، لكن دلالات كلمة (يسرِءار) في لوحة مرنبتاح غير كافية للوصول إلى فهم متكامل لما نعرفه اليوم باسم (إسرائيل)، ورغم ذلك فهي تُشكِّل محوراً تاريخياً مهماً عند ربطها بلوحة الملك ميشع ومسلة شلمنصر الثالث

ولوحة تل دان بحيث يصبح هذا اللفظ الحرفي ذا معنى عند تتبع تطوره في تلك النقوش بحسب تسلسلها الزمني.

قائمة المراجع

أبو بكر، عبد المنعم، 1961، ***إخناتون***، القاهرة، دار القلم.

حماد، محمد، 1991، تعلم الهيروغليفية: لغة مصر القديمة وأصل الخطوط العالمية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشامي، رشاد، 2007، رؤى إسرائيلية: في إشكالية التاريخ والفكر الديني اليهودي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر.

طبوزادة، زكية يوسف ، 2008، تاريخ مصر القديم: من أفول الدولة الوسطى إلى نهاية الأسرات، القاهرة، ص: 29.

فخري، أحمد، 2012، مصر الفرعونية: موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 قبل الميلاد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

فيركوتير، جان، 1946، مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، 1992، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

كتشن، كنت أ. 1982، فرعون المجد والانتصار رمسيس الثاني ملك مصر، ترجمة: أحمد زهير أمين، 1997، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

مقار، سامح، 2007، المعجم الوجيز: (هيروغليفية – عربي) الخط الهيروغليفي في الدولة الوسطى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب

ميلر، ستيفن م. وروبرت ف. هوبر،2008، تاريخ الكتاب المقدس: منذ التكوين وحتى اليوم، ترجمة: وليم وهبة، القاهرة، دار الثقافة.

نور الدين، عبد الحليم، 1998، اللغة المصرية القديمة، القاهرة – عزبة النخل، مطبعة دار التعاون.

الويت، كلير، 1991، الفراعنة: إمبراطورية الرعامسة، ترجمة وتعليق: ماهر جويجاتي، 2009، القاهرة، المركز القومي للترجمة.

Abaroni, Yohanan. 1966. Entry to Exile. In Ben-Gurion, David. The Jews in their Land. Pp 8-67. London: Aldus Books Limited.

Breasted, James Henry. 1906. Ancient Records of Egypt: Historical Documents from the Earliest Times to the Persian conquest, Collected Edition and Translated with Commentary, Volume III. Chicago: The University of Chicago Press. P 47. Retrieved: 9-9-2018. Downloaded from http://etana.org/ sites/ default/ files/coretexts/14898.pdf

Budge, E. A. Wallis. KNT and F. S. A. 1920.An Egyptian Hieroglyphic Dictionary. London: John Murray. P Lxxxi. (= P 81).

Curtis, Adrian. 2007. Oxford Bible Atlas. 4th Edition. New York: Oxford University Press. Retrieved: 18-8-2018. Downloaded from http://www.igorgirajanosevic.com/istorija/atlasi/Adrian_Curtis_Oxford_Bible_Atlas__2007.pdf

Dever, William G. 2015. The Exodus and the Bible: What Was Known; What Was Remember; What Was Forgotten?. In Levy, Thomas E.. and others. Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective: Text, Archaeology, Culture, and Geography. Pp 399-408. New York: Spriger.

Gardiner, Sir Alan. 1957. Egyptian Grammar: Being An Introduction To The Study Of Hieroglyphs. third edition. London: Oxford University.

Geraty, Lawrence T. 2015. Exodus Dates and Theories. In Levy, Thomas E.. and others. Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective: Text, Archaeology, Culture, and Geography. Pp 55-64. New York: Spriger.

Finkelstein, Israel & Neil Ashe Silberman. 2001. The Bible Unearthed, New York: simon and schuster.

Hoffmeier, James K. 2012. Out of Egypt. In Ancient Israel in Egypt and the Exodus. Pp1-20. Washington: Biblical Arcaeology Society. Retrieved: 5-9-2018. Downloaded from http://individual.utoronto.ca/mfkolarcik/ancient-israel-in-egypt-and-the-exodus.pdf

Israel Ministry of Foreign Affairs. 2010. Facts About Israel. Jerusalem: Israel Ministry of Foreign Affairs. Retrieved: 11-8-2018. Downloaded from http://mfa.gov.il/MFA_Graphics/MFA%20Gallery/Facts%20About%20Israel%202008/FactsEng2010.pdf

Kenyon, Kathleen M. 1981. Excavations at Jericho: The Archaeological and Stratigraphy of the Tell. Volume Three. Jerusalem: British School of Archaeology.

Killebrew, Ann E. 2005. Biblical Peoples And Ethnicity: An Archaeological Study of Egyptians, Philistines, and Early Israel, 1300-1100 B.C.E. Atlanta: Society of Biblical Literature.

Negev, Avraham. 1990. The Archaeological Encyclopedia of the Holy Land. 3rd ed. Jerusalem: G.G. The Jerusalem Publishing House Limited.

Petrie, W. M. Flinders. 1897. Six Temples At Thebes .1896. London: Bernard Quaritch.

Petrie, W. M. Flinders. 1912. Egypt and Israel. Third reprent with prefatory note. London: Society for Promoting Christian Knowledge.

Redford, Donald B. 2001. The Oxford Encyclopedia Of Ancient Egypt. Volume: 2 & 3. Cairo: The American University in Cairo Press.

Roeder, Gunther. 1912. Short Egyptian Grammar. Translated from the German by: Rev. Samuel A. B. Mercer. New Haven:Yale University Press.

Schulze, Jurgen P. and others. 2012. The Wave and 3D: How the waters Might Have Parted-Visualizing Evidence for a Major Volcanic Eruption in the Mediterranean and Its Impact on Exodus Models. . In: Levy, Thomas E. and others. Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective: Text, Archaeology, Culture, and Geography. Pp 161-172. New York: Spriger.

Shanks, Hershel. 2012. When Did Ancient Israel Begin?. In Ancient Israel in Egypt and the Exodus. Pp 31-37. Washington : Biblical Archaeology Society. P32. Retrieved: 5-9-2018. Downloaded from http://individual.utoronto.ca/mfkolarcik/ancient-israel-in-egypt-and-the-exodus.pdf

Stager, Lawrence E. 2011. Ashkelon's Arched Gate: When Canaanites and Philistines Ruled Ashkelon. In Corbett, Joey, and Robert Bronder. Ten Top Biblical Archaeology Discoveries P 94-117. Washington: Biblical Archaeology Society.

Stern, Ephraim & others. 1993. The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land. 4 volumes. Jerusalem: The Israel Exploration Society & Carta.

Wasef, Husney. 2012. The Israelite Gourney through the Wilderness in the Sinai Peninsula. Nablus: Centre of the Good Samaritan.

Wright, G. Ernest. 1965. Shechem: The Biography of Biblical City. New York: Mccraw-Hill Book Compony.

Zuckerman, Sharon. 2007. Anatomy of a Destruction: Crisis Architecture, Termination Rituals and the Fall of Canaanite Hazor. In Journal of Mediterranean Archaeology 20: 3-32.London: Equinox Publishing Ltd. Pp 24, 25. Retrieved: 2-10-2018. Downloaded from https://berlinarchaeology.files.wordpress.com/2015/08/zuckerman-2007-hazor.pdf

Abstract

Evaluation of the validity of Merneptah Stele as an archaeological evidence to the authenticity of the Exodus narrative

According to the believers in the Old Testament and Biblical scholars, Merneptah Stele is considered to be one of the most important archaeological evidence in the world. The reason for choosing the topic of the research is the widespread translation of the word Ysyriar in Merenptah Stele as Israel. Through this study, we asked to present the word "Israel" with its correct literal meaning and to put it in its proper historical context.

It is assumed that the names are not translated, and the name given in Merenptah Stele is "Ysriar", a name that describes a Bedouin group of people residing in the land of Canaan (Palestine) On behalf of Israel. But this name translated as "Israel" only in line with the biblical name.

However, due to the absence of any archaeological evidence to confirm the existence of the Israelites in Egypt or their exodus or the wandering in Sinai peninsula, In addition to contradicting the archaeological data with the biblical description of the control of Joshua son of Nun on the land of Canaan, the word "Ysriar or Israel" could never be evidence of the authenticity of the Biblical story of Exodus or the conquest of the land of Canaan, which was under the control of Egypt at the time supposed to be controlled by Israelites. Moreover, Egyptian rule over the land of Canaan began since the middle of the sixteenth century BC and lasted about 400 years.

Keywords: Merneptah Stele, Exodus, Canaan Land, Israel, Biblical Narratives.